الحياة الخالدة

أو

الحياة الأخري

الاستاذ الشهيد مرتضي مطهّري

ترجمة

محمدعلي شب آذر

الكتاب: الحياة الخالدة أو الحياة الاخري

المؤلف: الاستاذ الشهيد مرتضي مطهّري

المترجم: محمد علي شب آذر

الناشر: قسم الاعلام الخارجي – مؤسسة البعثة

الطبعة الاولي: 1407 ه.ق

مؤسسة البعثة الهاتف: 821159

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه هي الحلقة السابعة من سلسلة «مقدمة، في التصور الاسلامي» للاستاذ الشهيد مرتضي مطهري، و هذا الكتاب من الكتب التي تركها الاستاذ مطهري رضوان الله عليه دون تنقيح و تصحيح ، و طبُع في الفارسية بعدّ استشهاده علي نواقصه و مطبّاته.

حاولت ما أمكنني أن أرمّم النواقص، و أن أنظم سياق العبارات لتكون أقرب الي الفهم و التبويب، و إنْ حالفني بعض التوفيق فيما فعلت فما توفيقي إلاّ بالله عليه توكلت و اليه أُنيب.

يوم القدس (آخر جمعة من شهر رمضان المبارك)

سنة 1404 هجرية

«المترجم»

المعاد

من أركان التصور الاسلامي

الايمان بالحياة الخالدة و الحياة الاخروية واحد من أصول التصور الاسلامي و من أركان الايمان و الاعتقاد في الاسلام، و لا يكون الانسان مسلماً ما لم يحمل مثل هذا الايمان.

الأنبياء – بأجمعه – دعوا الناس الي الايمان بالحياة الاخري باعتباره أهم أصل بعد التوحيد. و هذا الاصل اصطلح عليه المتكلمون المسلون اسم «أصل المعاد».

في القرآن الكريم مئات الآيات التي تدور حول الحياة الأخري و يوم القيامة و كيفية حشر الاموات و الميزان و الحساب و تسجيل الاعمال و الحنة و النار و خلود عالم الآخرة و سائر المسائل المرتبطة بعالم ما بعد الموت. و في اثنتي عشرة آية ورد ذكر الايمان باليوم الآخر بعد الايمان بالله.

القرآن الكريم ذكر عالم القيامة بتعابير مختلفة، و كل تعبير يشكل باباً من المعرفة ، و أحد هذه التعابير «اليوم الآخر» و أراد القرآن من هذا التعبير أن يذكرنا بمسالتين:

الاولي – أن حياة الانسان بل مسيرة الكون تنقسم بمجموعها علي مرحلتين أو «يومين» المرحلة الفانية (مرحلة الحياة الدنيا)، و المرحلة الاخري الخالدة (مرحلة الحياة الاخروية)، و ورد في القرآن تعبير «الاولي» و «الآخرة» ليعبّرعن الحياتين الدنيوية و الاخروية.

و إنَّ لَنا لَلآخرةَ و الأُوليٰ. (الليلة 13)

و لَلآخرةُ خيرٌ لَكَ مِنَ الأوليٰ . (الضحي، 4)

الثانية – إن سعادتنا في هذه الحياة الدنيا المعاشة، و في الحياة الآخرة المججوبة عنا تكمن في «الايمان» باليوم الآخر.

الايمان بالحياة الاخري يوفّر لنا السعادة في هذه الدنيا لان هذا الايمان ينبّهنا علي نتائج أعمالنا، و يُفهمنا أن أعمالنا و أقوالنا صعيّرها و كبيرّها لها، مثل مالنا، يومان: يومٌ أول و يومٌ آخر. أي إنها لا تنعدم و لا تنتهي في الحياة الدنيا ، بل تبقي لتُحتَسب في الميزان في اليوم الآخر. من هنا فان هذا الايمان بحثنا علي أن نكون خيّرين في أعمالنا و نوايانا و أن نبتعد عن أفعال السوء ، أي يحثّنا علي أن نطوي باستمرار طريق فعل الخيرات . كما ان الايمان بالحياة الاخري يوفر لنا السعادة أيضا في تلك الحياة الاخروية لان أعمالنا في هذه الدنيا سوف تكون – كما سنبيّن ذلك – أساس سعادتنا و شقائنا في تلك الحياة.

من هنا أكد القرآن الكريم علي أن الايمان باليوم الآخر أمر ضروري و لازم لسعادة البشر.

مصدر الايمان بالحياة الاخريٰ

المصدر الاول و الاساس في الايمان بالحياة الخالدة و الحياة الاخري هو الوحي الالهي المنقول الي البشر عن طريق الانبياء.

بعد أن يؤمن الانيان بالله و برسله و بما أنزل الله علي رسله عن طريق الوحي فانه يؤمن أيضا بيوم القيامة و الحياة الخالدة كأهم أصل دعا اليه الانبياء بعد أصل التوحيد.

من هنا فايما الفرد بالحياة الاخري يتوقف أولا علي درجة إيمانه بأصل النبوة و يصدق أقوال الانبياء ، و يتوقف ثانياً علي مستوي معلومات الفرد و علي صحة تصوره في أمره المعاد و العالم الآخر، و مدي ابتعاد هذه التصورات عن الاوهام و التخيلات الساذجة.

إضافة الي طريق الوحي الذي بشر به الانبياء ، ثمة طرق أخري، أو علائم قرائن أخري للايمان بالمعاد . و هذه الطرق حصيلة الجهود الفكرية و العقلية و العلمية البشرية و هي – علي الاقل – تأييد لصحة أحاديث الانبياء بشأن المعاد و العالم الآخر. هذه الطرق عبارة عن:

1 _ طريق معرفة الله.

2 _ طريق معرفة العالم.

3 _ طريق معرفة الروح و النفس الانسانية.

لا نتطرق هنا الي هذه الطرق لان ذلك يفرض طرح مجموعة من البحوث العلمية و الفلسفية، و نكتفي بمعالجة الموضوع عن طريق الوحي و النبوة. و نظراً لأنّ القرآن صرح في مواضع عديدة بهذه الطرق أو أشاز اليها، فنحن سنشير اليها فيما بعد تحت عنوان «استدلالات القرآن حول العالم الآخر».

و ليتضح رأي الاسلام في الحياة الخالدة و الحياة الاخري ندرس الموضوعات التالية:

- ماهية الموت
- الحياة بعد الموت.

- عالم البرزخ
- القيامة الكبري
- العلاقة لين الحياة الدنيا و الحياة الاخري.
- خلود الاعمال و تجسّمها .
- أوجه الاشتراك و الاختلاف بين الحياة الدنيا و الحياة الاخري.
- استدلالات القرآن حول الحياة الاخري.

ماهية الموت:

ما هو الموت؟

هل هو فناء و زوال و انهدام ، أم هو تحول و تطور و انتقال من مكان الي آخر و من عالم الي عالم آخر؟

هذا السؤال أشغل ذهن البشرية دوما، فأناي ذهبوا للبحث عن جواب لهذا السؤال بأنفسهم ، و أُناس آمنوا بما أجاب عليه الآخرون.

نحن المسلمون نعود الي القرآن الكريم لنأخذ منه الجواب علي هذا السؤال ، و من الطبيعي فاننا نؤمن بهذا الجواب انطلاقا من إيماننا بهذا الكتاب الالهي.

القرآن الكريم له إجابته الخاصة علي هذا السؤال ، و له تعبيره الخاص في الحديث عن ماهية الموت. فهو يستعمل كلمة «توفّي» غالباً بدل كلمة مات.

و التوفّي في اللغة هو الاستيفاء[1]، و توفّي المال، أي استوفاه ، أو

[1]. توفي فلان و توفاه الله: إذا قبض روحه ... الله يتوفي الانفسّ حين موتها أي يستوفيها (لسان العرب، مادة وفي)

إخذه كاملا دون نقص. و هذا التعبير ورد في اثنتي عشرة آية من الذكر الحكيم. و جميعها تدل علي أن الموت في نظر القرآن الكريم عملية استلام. أي استلام المَلَك الموكَّل شخصية الانسان الحقيقية الكاملة لدي الموت. و من هذا التعبير القرآني نستنبط مايلي:

الف – ليس الموت فناء و زوالاً و عدماً، بل هو انتقال من علام الي عالم آخر، و من نشأة الي نشأة أخري، و تستمر حياة الانسان بنمط آخر.

ب – جسد الانسان ، بأعضائه و توابعه ، لا يمثل الشخصية الواقعيّة للانسان و لا يعبّر عن (الانا) الحقيقي للموجود البشري، لأن الجسد لا يُسَلَّم الي جهة أخري، بل يبقي في هذا العالم و بتجزأ بالتدريج.

و الذي يمثل شخصيتنا الواقعية و «الانا» الحقيقي هو ما يعبر عنه القرآن بالنفس حينا و بالروح حينا آخر.

ج – هذه الروح أو النفس تحتل _ في مرتبتها الوجودية –أفقا يسمو علي أفق المادة و الماديات. مع أن الروح أو النفس حصيلة التكامل الجوهري في الطبيعة – فالطبيعة علي أثر التكامل الجوهري و تبدلها الي روح أو نفي – يتبدل أفقها الوجودي و مرتبتها الواقعية، و تسمو الي مرتبة أعلي، أي تصبح من جنس عالم آخر هو عالم ماوراء الطبيعة.

يموت الانسان تنتقل الروح أو النفس الي نشأة من سنخ الروح. و بعباره أخري تتم – لدي الموت – عملية تسليم تلك الحقيقة التسامية علي حقيقة المادة.

القرآن الكريم أشار في بعض الآيات الي وجود هذه الحقيقة التسامية في الإنسان ، و إلي أنّ هذه الحقيقة هي غير عنصر «الحمأ المسنون» الذي يتكون منه جسد الانسان:

و اذْ قالَ ربك للملائِكة : إنّي خالقُ بشراً من صَلصال مِنْ حَمَأ مسنون غاذا سوّيتُهُ و نَفَختُ فيه مِن روحي فَقَعُوا لَهُ ساجدين.

(الحجر ، 29 – 30)

مسألة الروح أو النفس ، و بقاء الروح بعد الموت من أمهات المعارف الاسلامية. نصف المعارف الاصلية الاسلامية تقوم علي أساس أصالة الروح و استقلالها عن البدن و بقائها بعد الموت كما إن القيم الواقعية الانسانية تستند الي هذه الحقيقة، و لو لا هذه الحقيقة لَأضحت تلك القيم و هما محضاً.

الآيات القرآنية التي تتحدث عن الحياة بعد الموت تُصرحُ جميعا أن الروح حقيقة مستقلة عن الجسد، و أنها تبقيٰ بعد فناء البدن.

بعض المسلمين المتأثر بتيارات الفكر المادي الغربي ذهبوا الي أن القرآن لا يقرّ وجود الروح ، و أن الانسان يفنيٰ بعد الموت و ينعدم إحساسه بأي شيء، فلا يعشر بسعادة و لا شقاء و يبقي علي حاله هذه حتي يوم القيامة إذ يعود الانسان الي الحياة الاخري. و قال هؤلاء: ان كلمة الروح في الآية الكريمة «... قل الروح من أمر ربّي» تعني أمراً آخر غير الروح الانسانية، و دليلهم علي ذلك أن هذه الكلمة وردت في آيات أخري بمعان أخري.

غير أن الآيات الكريمة التي تتحدث عن حياة الانسان بعد الموت ترفض هذه النظرة . دليل القائلين بوجود الروح ليست الآية المذكورة أعلاة فحسب ، بل ثمة ما يقارب عشرين آية تحدثت عن الروح بعضها استعملت كلمة الروح مطلقة و بعضها استعملتها مضافة: مثل روحنا و روح القدس و روحي و كلها تشير الي وجود حقيقة سامية غير

عادية هي «الروح»[2].

ليس القرآن وحده أكد علي أصالة الروح في آيات عديدة ، بل السنة أيضا أكدت علي ذلك.

نذكر فيما يلي نماذج من الآيات التي عبّرت عن الموت بالتوفي، و تحدثت بعضها عن أعمال حياتيه للانسان بعد الموت كالكلام و التمني و الطلب:

1- إنّ الذينَ تَوفّاهُمُ الملائكةُ ظالمي أنفُسهم قالوا: فيم كنتم؟

قالوا: كنّا مَستضعفين في الارض. قالوا: ألم تكنْ أرضُ اللهِ واسعةً فتُهاجروا فيها؟ فأولئك مأواهم جهنُم و ساءت مصيرا. (النساء ، 97)

هذه الآية تتحدث عن المستضعفين الظالمي أنفسِهم ، ي الفئة التي رضخت للجوّ الفاسد بحُجّة عدم قدرتها علي تغييره . و الملائكة تصب اللوم علي هؤلاء بعد موتهم، و ترفض تبر يراتهم ، إذا إنهم قادرون علي الهجرة من المحيط الفاسد علي الاقل ، و تُحمّلُهم مسؤولية ما حاق بهم من ظلم، بل و تعتبرُهم في زمرة الظالمين. و تلك تذكرة لكل من يعيش في مثل هذه الاجواء.

هذه الآية تعبّر عن الموت أولا بالتوفي، و تتحدث ثانياً عن حوار يدور بين الملائكة و الانسان في لحظات تلي الوفاة. و هذا الحوار له دلالة علي أن الانسان – بعد انتقاله من هذه الحياه – يتحدث الي موجودات باسم الملائكة، بطريقة – طبعا – غير الطريقة التي تألفها في هذه الحياة.

[2]. راجع تفسير «الميزان»، ج 13 ص 195، ذيل الآية الكريمة «قل الروح من أمر ربي» و ج 3 ص 270 – 275، ذيل الآية الكريمة «يوم يقومُ الروحٌ و الملائكة صفاً».

2 – و قالوا أ إذا ضللنا ف يالأرض أ إنّا لفي خلق جديد . بل هم بلقاء ربّهم كافرون. قل يتوفأ كم ملك الموت الذي و كل بكم ثم إلي ربّكم ترجعون . (الجسجدة ، 11 – 12)

هذه لآية تطرح إحدي شبهات منكري المعاد و الحياة الاخري و هؤلاء المنكرون يقولون إن أجسامنا تتفتت و تتفرق في الارض بعد موتها ، فكيف نحييٰ ثانية؟ القرآن الكريم – ضمن تأكيده علي أن يقول: إن شخصيتكم الواقعية ليست بشيء يفنيٰ و يُضيع، بل يستوفيها الملك الموكل من قِبل الله.

و مثل هذه الشبهة يطرحها القرآن في مكان آخر و يردّ عليها بأنّ الله قادر علي أن يعيد خلق الانسان كما خلقه أول مرة:

وَ ضَرَبَ مثلا وَ نَسيَ خلقه قال: منْ يحيي العظام وهي رميم؟ قُلْ يُحسسها الذي أنشأها أول مرةٍ و هو بكل خلق عليم.

الآية 110 من سورة السجدة، المذكورة، تصرّح ببقاء شخصية الانسان الحقيقية (أي بقاء الروح) بعد الموت.

3 – اللهُ يتوفّيٰ الانفسّ حينّ موتِها و التي لَم تَمتْ في منامها، فيُمسِك التي قضي عليها الموت و يُرسل الاخري التي أجل مسمّيٰ ، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون. (الزمر، 62)

هذه الآية الكريمة توضح التشابه و السنخيّة بين النوم و الموت (و بين اليقظه و البعث ضمنيا). النوم موت ضعيف صغير، و الموت نوم شديد كبير. و في كلا الحالتين تنتقل النفس الانسانية من نشأة الي نشأة أخري، مع فارق هو أن الانسان لايعي علي نفسه في النوم و لا يعلم

عند اليقظه أنه عاد في الحقيقة من رحلة، لكنه يعي كل شيء عند الموت.

من مجموع الآيات الثلاث المذكورة يمكننا أن نفهم بوضوح أنّ ماهية الموت – في نظر القرآن – ليست عدماً و فناء ، بل انتقالا من نشأة الي نشأة أخري.

مسألة النوم التي أشار اليها القرآن في الآية الاخيرة من المسائل المعقدة الغامصة أمام العلم. و ما يستطيع العلم أن يفهمه عن النوم – و هكذا عن الموت – هو مجموعة التغييرات التي تحدث علي فسجلة الجسم لاغير. أما التغيير الروحي في حالتي النوم و الموت فلا سبيل للعم أن يفهمه.

الحياة بعد الموت

الانسان بعد الموت لايدخل عالم القيامة الكبري مباشرة كما تدل علي ذلك نصوص الكتاب و السنة المتواترة. لان القيامة الكبري تقع بعد مجموعة تغييرات عامة في الكون تشمل الجبال و البحار و المياه و الشمس و النجوم و الكواكب و كل الظواهر المشهودة ف يالكون ، و فيها يجتمع الاولون الآخرون ، و حينُها غيرُ معلوم، و ربما امتدّ النظام الكوني القائم الي ملايين أو مليارات السنوات حتي يحدث عليه ذلك التغيير الكبير الشامل، و الله وحده هو العالم بذلك.

و يُستفاد من آيات القرآن الكريم (المذكورة في هذا الفصل و غيرها من الآيات) أن الانسان يعيش في حالة وعي و شعور بين يومي الوفاة و القيامة. و في هذه الفترة يحسّ بالسرور و بالألم، و سروره و ألمه يرتبطان بأفكاره و أعماله في الحياة الدنيا. و تستمر هذه المرحلة حتي

تحين ساعة القيامة الكبري.

الانسان – في رأي القرآن الكريم – يمّر اذن بمرحلتين بعد الموت، بعالمٍ محدودٍ فانٍ مثل عالم الدنيا هو (عالم البرزخ) ، و عالَم غير محدود هو عالم القيامة.

عالم البرزخ

البرزخ ما يفصل بين شيئين، و القرآن أطلق هذه الكلمة علي الفترة الفاصلة بين الموت و القيامة:

> حتي إذا جاء أحدَ هم الموتُ قال ربِّ ارجعونِ لعلّي أعملُ صالحاً فيما تركت، كلا إنها كلمةٌ هو قائلُها، و من ورائهم برزخٌ الي يوم يُبعُون.

(المؤمنون ، 100)

علماء الاسلام اقتبسوا كلمة البرزخ من هذا الموضع الوحيد لورد هذه الكلمة في القرآن الكريم و أطلقوا علي العالم الفاصل بين الحياة الدنيا و القيامة اسم «عالم البرزخ».

هذه الآية تكتفي بذكر حالة الندم التي تظهر علي أفراد بعدَ الموت و طلبهم العودة الي الحياة الدنيا، و هي بذلك تصرح بوجود نوع من الحياة للانسان بعد الموت.

ثمة ما يقارب خمس عشرة آية تتحدث عن عالم ما بعد الموت. و توضح جميعا تمتّع الانسان بنوع من الحياة في الفترة بين الوفاة و القيامة، و احساسه باللذة أو الالم. يمكن تقسيم هذه الآيات علي ثلاث مجاميع:

1 – آيات تستعرض حواراً بين الصالحين أو المفسدين و بين الملائكة ، بعد الموت مباشرة و الآية 97 من سورة النساء، و الآية 100 من

سورة المؤمنين المذكورتان ، من هذا النوع من الآيات.

2- آيات تصرح، بعد الحوار، بتمته الانسان بالنعم الالهية، قبل يوم القيامة:
الف – الدينَ نتوفاهم المالئكة طيبينَ يقولون : سلامُ عليكم دخلوا الجنّة بما كنتم تعمّلون. (النحل، 32).
ب – قيل: ادخل الجنّة، قال: يا ليتَ قومي يعلمون بما غَفَر لي ربي و جعلني مِنَ المُكرَمين. (يس، 26 – 27)

و الآية الاخيره تتحدث عن ذلك المؤمن السائر علي خط الرسل، الذي دعا قومه فعصوهه. و ها هو يتجه الي الجنة بعد موته فيتمنيٰ لو أنّ قومه الباقين علي قيد الحياة في الحياة الدنيا علموا ما يحيط به من سعادة . و من الطبيعي فان حديث الآية يدور عن عالم ما قبل القيامة، لان القيامة تجمع الاولين و الآخرين، و لن يبقي علي ظهر الأرض حينئذ أحد.

جدير بالذكر أن جناباً عديدة أعدت للصالحين بعد الموت لا جنة واحدة. و هذه الجنان مختلفة في الآخرة باختلاف مراتب القرب الالهي. و هناك بعض الجنان ترتبط بعالم البرزخ كما ورد في الاخبار و في روايات أئمة أهل البيت عليهم السلامم. من هنا فورود كلمة الجنة في الآيتين السابقتين لا يعني ارتباطهما بعالم القيامة.

3 – مجموعة أخري من الآيات لا تتطرق الي حواربين الملائكة و الانسان ، بل تتحدث مباشره عن حياة الصالحين و الطالحين ، و عن سعادة أولئك و شقاة هؤلاء في الفترة الفاصلة بين الموت و القيامة:

الف – و لا تَحَسَبَنّ الذينَ قُتِلوا في سبيل اللهِ أمواتاً، بل أحياءٌ عندَ ربهم يُرزقون ، فَرحينَ بما آناهم الله مِنْ فَضلِه و يستَبشرونَ بالذينَ لم

يَلحَقوا بّهم من خَلفِهم ، ألاّ خوفٌ عليهم و لاهُمْ يحَزَنون.

(آل عمران ، 169 – 170)

ب – و حاقَ بآلِ فرعونَ العذاب النارُ يُعرَضون عليها غُدوا و عَشِيّاً ويومَ تقومُ الساعةُ ادخُلوا آلَ فرعونَ أشدَّ العذاب . (المؤمن ، 45 – 46)

الآية الكريمة الاخيرة تتحدث عن نوعين من العذاب ينزل بآل فرعون بعد الموت ، الاول قبل يوم القيامة و عبّر عنه القرآن بسوء العذاب. و الآخر ينزل بهم بعد يوم القيامة و عبر عنه بأشدّ العذاب و يلاحظ أنّ الآية تحدثت عن العذاب الاول بأنه ينزل بآل فرعون غدواً و عشياً، و روي عن أمير المؤمنين علي – عليه السلام – في توضيح هذه الآية أن حياة البرزخ كالحياة الدنيا فيها غدوّ عشاء و أسبوع و شهر و سنة خلافا لعالم القيامة حيث تنعدم فيه هذه الاوقات.

في الاخبار و الروايات المنقولة عن رسول الله – صلي الله عليه و آله و سلم – و عن أئمة آل البيت عليهم السلام تأكيد كثير علي عالم البرزخ و علي حياة أهل الايمان و أهل المعاصي فيه.

بعد واقعة بدر ألقيٰ المسلمون أجسادَ سراة قريش في القليب (البئر). فسمع الصحابة ذات ليلة رسول الله و هو يقول: يا أهل القليب، يا عتبة بن ربيعة و يا شيبة بن ربيعة و يا أمية بن خلف و يا أبا جهل بن هشام ، فعدّد من كان في القليب: هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً، وجدت ما وعدني ربّي حقًا؟

فقال الميلمون : يا رسول الله، أتنادي قوما قد جُيّفوا (أي صاروا جيفا)؟ قال: ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، و لكنهم لا يستطيعون أن يجيبوني[3]...

[3]. السيرة النبوية ، ابن هشام ، ج 2 ، ط دار إحياء التراث العربي ، ص 291.

حادثة تستوعب جميع الاشياء و كل أفراد البشر، و يدخل الكون فيها بأجمعه مرحلة جديدة و حياة جديدة و نظاما جديدا.

القرآن الكريم أخبرنا عن هذه الحادثة الكبري مقرونة بتكوير الشمس و انكدار النجوم و تسجير البحار و انفجارها و انفطار السماء و انتشار الكواكب و تحول الجبال الي شيء كالعهن المنفوش... و أمثالها من التغييرات الكونية الهائلة.

يبدو من القرآن الكريم أنّ العالم بأجمعه يتّجه نحو الانهدام و الخراب و الابادة، و ينشأ عالم آخر تتحكم فيه قوانين ونظم أخري خالدة تتخلف اختلافا أساسيا عن القوانين و الانظمة الحالية المتحكمة في هذا العالم.

القيامة في القرآن الكريم لها مسميات مختلفة ، و كل اسم يوضح جانبا من جوانب وضع ذلك العالم . فباعتبار أن عالم القيامة يجمع الاولين و الآخرين علي صعيد واحد سمّي «يوم الحشر » و «يوم الجمع» و «يوم التلاقي»، و باعتبار أن الاسرار و الحقائق المخبوءة تنكشف في هذا العالم سُمّي «يوم تبليٰ السرائر» و «يوم النشور» ، و باعتبار خلوده سمي «يوم الخلود»، و باعتبار أن أبناء البشر يغطّون هذا اليوم في حسرة و ندم علي ما فرّطوا من أمرهم في الحياة الدنيا سمي «يوم الحسرة» و«يوم التغابن»، و باعتباره حدثا عظيما و خبراً جسمياً سمي «النبأ العظيم».

العلاقة بين الحياة الدنيا و الحياة الاخري

المسألة الاساسية التي ركزت عليها الكتب السماوية هي العلاقة بين الحياتين . ليس بين هاتين الحياتين انفصال، بذرة تلك الحياة يغرسها الانسان بيده في هذه الحياة ، و مصير الانسان في تلك

الحياة يقره الانسان بنفسه في هذه الحياة.

الايمان ، و الاعتقاد الصحيح الواقعي، و الخلق الانساني الرفيه البعيد عن الحسد و المكر و الخداع و الحقد و الغش، و كل الاعمال الصالحة المتجهة نحو خدمة الفرد و المجتمع كالخدمات و الخيرات و المبرات و أمثالها ، تصنع حياة سعيدة خالدة للانسان ؛ علي العكس من ذلك فقدان الايمان و الاعتقاد الصحيح ، و الاخلاق السيئة، و الذاتية و الانانية، و الظلم ، و الرياء و ابتزاز الاموال، و الكذب و التهمة، و الخيانة ، و الغيبة ، و النميمة، و الاستنكاف عن العبادة و أمثالها ، تؤدي الي حياة شقية للانسان في الحياة الاخري.

رسول الله – صلي الله عليه و آله و سلم – يعبّر عن هذه العلاقة قائلا: «الدنيا مزرعةُ الآخرة». فكل بذرة صالحة مانت أم طالحة تؤتي أُكُلها في ذلك العالم. كما إن من المحال أنّ يحصد الاناسن في هذه الدنيا قمحاً إذا زرع شعيراً أو أن يحصد حنظلا إذا تمراً، كذلك من المحال أن يزرهع الانسان في هذه الدنيا بذورّ الخير و يحصد في تلك شراً، و العكس صحيح أيضا.

خلود الاعمال و تجسّمها

يُفهم من القرآن الكريم و المرويّ عن أئمة الدين، أن عمل الانسان باق لا ينمحي أو يزول كبقاء الانسان و خلوده ، و كل أعمال الانسان تصبح محضرة مرئية في نشأة القيامة. فأعمال الانسان الخيرة تتجسم بصورة جميلة رائعة تبعث علي اللذة و الانشراح ، و أعماله الشريرة

تتجسّم بشكل قبيح مزعج و بصورة مصدر للألم و العذاب[4].

نكتفي هنا بذكر بعض الآيات و الروايات بهذا الشأن:

1- يومَ تَجِدُ كلُّ نفسٍ ما عملتْ مِن خيرٍ مُحضَرا، و ما عَمِلتْ من سوءٍ توُّ لو أن بينها و بينَه أمداً بعيدا. (آل عمران ، 30)

هذه الآه تصرح بأن الانسان يري في يوم القيامة عمله ما ثلا أمامه، خيراً كان أم سوءا، و أن الانسان ينفر من عمله السوء المحضر أمامه، حتي يودّ أن يهرب منه، و لات حين فرار. العمل المحضر أمام الانسان هو جزء من وجود الانسان لا ينفصل عنه.

2 – و وَجَدوا ما عمِلوا حاضرا. (الكهف ، 49)

و هذه الآيه تفيد نفس مفهوم الآية السابقة.

3 – يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليُروا أعمالّهم فمنْ يعمل مثقالَ ذرةٍ خيراً يره، و من يعمل مثقالَ ذرةٍ شراً يره. (الزلزال، 6 – 8)

الانسان باق و خالد ، و أعمال الانسان و آثاره باقية و مدونة و خالدة، و الانسان يعيش في الحياة الاخري بأعماله و أخلاقه و ما كسبت يداه في الحياة الدنيا. و سواء كانت هذه الاعمال و المكتسبات صالحة أم سيئة فانها تكون الصاحب الدائمي الصالح أو السيّء للانسان في الحياة الاخري.

أما الاحاديث[5]:

---

[4]. راجع كتاب «عدل الهي» = العدل الالهي، و فيه أوضحنا أن «النعيم» و «الجحيم» لسا الاصورا ملكوتية للاعمال.

[5]. لم يذكر الاستاذ الشهيد سوي حديثا واحداً بشأن خلود الاعمال و تجسّمها، وفاته أن يذكر البقية، و لذلك راجعت بحارالانوار للعلامة المجلسي و استخرجت منه الاحاديث التي يراها القاري الكريم.

1- قال رسول الله (ص): أما إنّ الله عزوجل كما أمركم أن تحتاطوا لانفسكم و أديانكم و أموالكم باستشهاد الشهود العدول عليكم، فكذلك قد احتاط علي عباده ، و لكم في استشهاد الشهود عليهم. فلله علي كلي عبدٍ رقباء من كل خلقه و معقبات من بين يديه و من خلفه يحفظونه من أمر الله و يحفطون ما يكون منه من أعماله و أقواله و ألفاظه و ألحاظه و البقاع التي تشتمل عليه شهود ربّه، له أو عليه، و الليالي و الايام و اشهور شهود عليه أوله ، و سائر عباد الله المؤمنين شهود عليه أوله، و حفظته الكاتبون أعماله شهود له أو عليه[6].

2- قال ابوذر (رض) سمعت رسول الله (ص) يقول: حافتا الصراط يوم القيامة الرحم و الامانة ، فاذا مرّ الوَصُول للرحم المؤدّي للامانة نفذ الي الجنة، و إذا مرّ الخائن للامانة القَطُوع للرحم ، لم ينفعه عمل، و تكفأ به الصراط في النار[7].

3- عن أبي جعفر الباقر – عليه السلام – في قوله :«و كل إنسان ألزمناه طائره في عنقه» يقول : خيره و شرّه معه حيث كان، لا يستطيع فراقه حتي يُعطيٰ كتابه يوم القيامة بماعمل[8].

4- عن المفضل بن عمر قال: سألت أبا عبدالله (ع) عن الصراط فقال: هو الطريق الي معرفة الله عزّوجل ، و هما صراطان : صراط في الدنيا و صراط في الآخرة. فأما الصراط الذي في الدنيا فهو الامام المفروض الطاعة، و من عرفه في الدنيا و اقتدي بهداه مرّ علي الصراط الذي هو جسر جهنم في الآخرة، و من لم يعرفه زلت قدمه

---

[6]. البحار، ج 7 ، ص 315، ط طهران ، 1377 ه.
[7]نفس المصدر، ج 8 ، ص 67.
[8]. نفس المصدر، ج 7 ، ص 312.

عن الصراط في الآخرة فتردي في نار جهنم [9].

5 – عن زيدبن علي عن النبي (ص) يجيء يوم القيامة ذو الوجهين دالعاً لسانه في قفاه، و آخر من قدّآمه يلتهبان ناراً حتي يلبها جسده، ثم يقال له: هذا الذي كان في الدنيا ذا الوجهين و لسانين، يعرف بذلك يوم القيامة[10].

مقارنة بين الحياتين

تشرك الحياة الدنيا و الحياة الآخرة في كونهما حياتين حقيقتين و واقعيتين . الانسان في كلا الحياتين يعي علي نفسه و علي ما يرتبط به. و في كليهما لذة و عناء و فرح و حزن و سعادة و شقاء . غرائر الانسان بما فيما العرائز الحيوانية و الغرائر الانسانية الخاصة تتحكم في كلا الحياتين . يعيش الانسان في الحياتين بجسده و أعضائه و جوارحه ، و في كلا الحياتين فضاء و كواكب. و لكن بين الحياتين اختلافات أساسية:

في هذه الحياة الدنيا توالد و تناسل و طفولة و شباب و شيخوخة ثم موت، و لا وجود لمثل هذا هناك. هذه الحياة تتطلب العمل و غرس البذور و إعداد الارضية اللازمة، و تلك حياة جني الثمار و العيش في الارضية المعدّة. في هذه الحياة تتوفر إمكانية تغيير المسير و المصير من قِبَل

[9]. نفس المصدر، ج 8 ، ص 66.
[10]. نفس المصدر ، ج 7 ، ص 218.

الانسان هناك له حياة و وعي و احساس. تتحكم هنا الاسباب و العلل و الظروف الخاصة الزمانية، و توجد هنا الحركة و التكامل، و هناك يتجلي فقط الملكون الالهي و الارادة الالهية. شعور الانسان و وعيه و باصرته و ادراكه في ذلك العالم أقوي بكثير من هذا العالم. و بعبارة أخري ترتفع في تلك الحياة الستائر و الحجب عن عين الانسان، فيدرك الحقائق بعمق، كما يقول تعالي:

فكشفنا غطاءك فَبصُرك اليوم حديد. (ق ، 22)

الحياة الدنيا مقرونة بالتعب و الملل، خاصة بسبب فقدان التنوع فيها. الانسان في هذه الحياة حائر يبحث عن شيء مفقود، و ما أنْ يصل الي هدف من أهدافه حتي يظنه أنه الشيء الذي كان يبحث عنه، فيركن اليه، لكنه يحسّ بعد برهة أن هذا الذي ناله ليس بمطلوبه، فيعود اليه الشعور بالتعب و الملل و يبدأ بالبحث عن هدف آخر... و هكذا الانسان في الحياة الدنيا يبحث دوما عن شيء لم ينله، و يسأم مما ناله. أما الحياة الاخري، فهي لصيقه بأعماث فطرة الاناسن و شعوره الشخصي، و هي الحقيقةُ التي طالما بحث عنها، أي الحياةُ الخالدة الي جوار ربّ العالمين . من هنا لا يحسّ الانسان فيها تبعاً و لا سأما ، و القرآن الكريم يشير الي هذه المسألة إذ يقول:

لا يبغون عنها حِوَلا . (الكهف، 110)

أي إن أهل الجنة لا يشعورن مللا و لا سأما من حياتهم الخالدة في النعيم. أضف الي ذلك أن أهل الجنة لا يتألمون لشيء لم ينالوه، فإرادة الله شاءت أن يتوفر لهم كل ما أرادوه.

براهين القرآن

ايماننا بيوم القيامة ينطلق طبعا من إيماننا بالقرآن و أقوال الانبياء ، من هنا ليس من الضروري أن نلجأ الي البرهان و الاستدلال أو الي ذكر الشواهد و القرائن العلمية بشأن يوم القيامة. لكننا نجد في القرآن مجموعة من الادلة علي البعث و النشور استهدفت فيما استهدفت تقريب صورة أحداث القيامة الي أذهاننا. و ها نحن نستعرض هذه البراهين باختصار.

براهين القرآن مجموعة من الاجوبة علي منكري القيامة. هذه الاجوبة يمكن أن نقسمها علي ثلاثة أقسام:

1- آيات تبين إمكان القيامة و هي تجيب علي أولئك الذين خالوا استحالة ذلك.
2- آيات تجاوزت مرحلة الآيات السابقة ، فذكرت نماذج من الحياة الدنيا تشبه البعث و النشور و بذلك تقرب فكرة القيامة الي الاذهان.
3- آيات تجاوزت المرحلتين السابقتين ، فذكرت أن القيامة أمر ضروري و نتيجة حتمية للحكمة المشهودة في عالم الخليقة.

و نستعرض فيما يلي آيات الاقسام اثلاثة:

أولا –

و ضَربَ مثلاً و نَسِيَ خلقَه قالم من يُحيي العظامَ و هي رَميم؟ قُلْ يُحيها الذي أنشأها أول مرةٍ و هو بكل خَلق عليم . (يس ، 78).

هذه الآية الكريمة تجيب علي اعتراض رجل من الكفار أخذ عظما نخرا، فطحنه بيده، ثم تساءل معترضا و قال: من يحيي العظام و هي رميم؟ و القرآن الكريم يردّ عليه في الآية الكريمة مرتين: مرة

ضمن طرح السؤال إذ يقول : «و نسي خلقه» و مرة أخري بعد السؤال إذا يقول: «قُلْ يُحيها الذي أنشأها أول مرة».

الانسان يقسم الأشياء أحيانا الي ممكنة و غير ممكنة استنادا الي قدرته وقوته . و حين يواجه شيئا يفوق قدرته و طاقته يظن أنه غير ممكن داتيا. القرآن يذكر في هذه الآية أن هذا الامر ممكن لو أُسند الي القدرة التي أنشأت الانسان أول مرّة.

في القرآن الكريم آيات كثيرة تتجه الي هذا النوع من الاستدلال ، و تركز علي أن مشيئة الله العادل الحكيم التي قضت بظهور معجزة الحياة و الخليقة أول مرة، ستعيد الحياة الي هذا الانسان يوم القيامة مرة أخري.

ثانيا – آيات المجموعة الثانية يمكن تقسيمها علي مجموعتين:

الف – آيات تتحدث عن وقائع سابقه أُعيدت فيها الحياة الي ميت ، كالآيات التي تستعرض حواراً بين الله و سيدنا ابراهيم:

و إذ قالَ إبراهيمُ: ربِّ أرني كيف تُحيي الموتيٰ.

قال: أوَلَمْ تُؤمن؟

قال: بَليٰ و لكن ليطمئنَّ قلبي.

قال: فَخُذْ أربعً مِنَ الطير فَصُرْهُنَّ إليك، ثم اجعلْ علي كلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزء اثم ادعُهُنَّ يأتينكَ سعياً واعلم أن الله عزيزٌ حكيم.

(البقرة ، 261)

ب – آيات ستتشهد بحياة الارض و النباتات بعد موتها في الخريف و الشتاء ، لتبرهن علي عودة الحياة الي الانسان و الكائنات بعد موتها وفنائها بوضع آخر و كيفية أخري. و هذه الآيات تختلف عن آيات المجموعة الاولي بذكر شواهد محسوسة علي قدرة الله من حياتنا الدنيوية، و لا تكتفي بذكر قدرة الله:

و الله الذي أرسَلَ الرياح فتُثير سَحاباً فسُقناه الي بَلَد ميّتٍ فأحيينا به الأرض بعد موتِها كذلك النشور.(فاطر، 9)

و تري الارضَ هامدةً فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزّت و رَبَتْ و أنبتَتْ من كلِّ زوج بهيج . ذلك بأنّ الله هو الحق و أنه يحيي الموتيٰ و أنه علي كل شيء قدير. و أنّ الساعةَ آتية لا ريبَ و أنّ اللهَ يبعثُ مَنْ في القبور.

(الحج، 5 – 7)

و هناك آيا كثيرة مشابهة تصور القيامة في إطار نظام الموت و الحياة في هذا الكون... هذا النظام الذي نري نموذجاً مصغراً منه علي هذه الارض.

و لمزيد من التوضيح نقول: نحن البشر نعيش علي الارض عادة خمسين أوستين سنة و قد يطول بناء العمر الي مائة سنة، و في كل سنة نشهد دورة من دورات الموت و الحياة ، من هنا لا نعجب حينما نري الارض تحييٰ و تهتزّ في الربيع بعد موتها في الشتاء و الخريف. و لو كان عمر الانسان – فرضا – عدة شهور، كما هو حال بعض الحشرات، و لم يكنم لهذا الانسان علم بتاريخ الارض و دوراتها ، لما صدّق اطلاقا عودة الحياة الي الارض بعد موتها لانه لا يستطيع أن يشاهد ذلك.

الانسان إذن يَرف بوعي علي دورة الحياة و الموت في الطبيعة، كما إنه االضفة الي ذلك يدرك ارتباطه بأجزاء الكون، و يفهم ارتباط اجزاء الكون مع بعضها. الديدان و الحشرات لا تري و لاتدرك عالما غير البقعة التي تعيش فيها، و لا تفهم ارتباط عالمها بعوالم طبيعية أخري. لكننا ندرك ذلك جيدا... و نفهم أن المدينة التي نعيش فيها ترتبط بنظام البلد الذي نعيش فيه، و البلد الذي نعيش فيه يرتبط بنظام الكرة الارضية ، و نظام الكرة الارضية تابع لنظام مجموعتنا الشمسية ، و نظام مجموعتنا الشمسية تابع لنظام الكون بأجمعه . من هنا نستطيع أن نحتمل

وجود نظام أشمل و أعم من كوننا هذا ... و ربّما كان عمر هذا الكون جزء من دورة أكبر و أعظم ، و هذ الجزء من هذه الدورة ينطوي علي الحياة و الموت، و سيعقبه جزء آخر تنعدم فيه الحياة ، ثم يعود ذلك النظام الأشمل و الأعم لاستئناف الحياة مرة أخري.

الانبياء أخبرونا من قِبَل الله عن انهدام الكون و انطفاء شمعة الحياة في زمن معين ثم حشر الاموات في نظام جديد . و نحن نؤمن بذلك انطلاقا من إيماننا بالنبوة.

القرآن الكريم في أمثلته المذكورة عن نظام الموت و الحياة علي الارض يستدهف إعطاه صورة مصغرة عن البعث في يوم القيامة، و يرمي الي تقريب ذلك الي الذهن كي لا نتصوره مخالفا لسنن الكون. فهو يقول إنَّ البعث تجديد للحياة، و تجديد الحياة ظاهرة مشهودة علي ظهر الارض و هذا المعني ورد في الحديث النبوي الشريف أيضا عن رسول الله حيث قال:

إذا رأيتم الربيه فأكثروا ذكرَ النشور.

ج – المجموعة الثالثة آيات تتحدث عن القيامة علي أنها أمر ضروري و حتمي ، و انعدامها يستلزم أمراً محالاً في ذات الله تعالي. و هذا بينه القرآن عن طريقين:

الاول – عن طريق العدل الالهي، أي عن طريق توضيح حتمية العطاء الالهي لكل مخلوق يستحق هذا العطاء و يليق له.

و الثاني – عن طريق الحكمة الالهية، وذلك بتوضيح أن الذات المقدسة الالهية خلقت الموجودات من أجل هدف و غاية. و أن الحكلة الالهية تستوجب إيصال الموجودات الي كمالها اللائق و غايتها الممكنة.

القرآن الكريم يذهب الي أن العدل الالهي يستوجب وجود

القيامة و الحياة الخالدة و الثواب و العقاب الاخروية و ان انعدمَ وجودُ هذه الامر فذلك ظلم و مخالف للعدل الالهي، و الظلم محال علي الله. و يذهب أيضا الي أن نظام الخلقة عبث و خواء إنْ فقد الحياة الخالدة، و البعث محال علي الله أيضا.

الآيات الكريمة المندرجة في هذه المجموعة كثيرة نكتفي بذكر موضعين منها:

1 - و ما خَلَقنا السماء و الارضَ و ما بينمهما باطلا ذلك ظَنّ الذين كفروا فويلٌ للذين كفروا من النار. أم نجعلُ الذينَ آمنوا و عَمِلوا الصالحاتِ كالمفسدينَ في الارض أم نجعل المتّقين كالفُجّار؟ (ص ، 27 ، 28)

هاتان الآيتان الكريمتان وردتا في سياق الحديث عن العذاب الشديد الذي بالمنحرفين لنسيانهم يوم الحساب . الآية الاولي تشير الي حكمة الله والي الحكمة في الكون . و الثانية تشير الي عدالة الله ، و الي العدل في نظام الخليفة.

2 – أم حَسِبَ الذينَ اجترَحُؤا السيأتِ أن نجعلهم كالذين آمنوا و عملو الصالحات ، سوائ محياهُم و مماتهم؟ ساء ما يحكُمون . و خَلَق الله السموات و الارضَ بالحق و لتُجزيٰ كلُّ نفسٍ بما كسَبَتْ وهم لا يُظْلَمون . (الجاثية، 21 ، 22)

الآية الاولي تشير الي مبدأ العدل و الثانية الي مبدأ الحكمة. و في ذيل الآية الثانية اشارة أخري الي أن العدل الالهي غاية و هدف لقيام القيامة.

العدل الالهي و الحكة الالهيّة

يلزمنا أن نوضح مبدئي العدل الالهي و الحكة الالهية، و ارتباطهما بضرورة وجود الحياة الخالدة.

العدل الالهي:

العدل بمفهومه الواسع يعني إعطاء الحق لذوية دون تمييزبينهم.

فعدم إعطاء الحق لذويه مخالف للعدل، و كذلك التمييز بين ذوي الحق في إعطائهم حقهم مخالف للعدل أيضا.

لو أُعطي معلم لكل طلابه علامات أقل مما يستحقونه ، فانه سار بهم خلافا للعدل ، و لو أعطي بعضهم حقّه من العلامات ، و أنقص علامات بعض آخر لكان مخالفا في سلوكه أيضا.

العدالة تلازم المساواة من جهة، لان المساواة تعني عدم التمييز في إعطاء الحقوق . أي تعني إعطاء كل ذي حق ما يستحقه. فان استحق كثيراً أُعطي كثيراً، و ان استحق قليلاً أعُطيَ قليلا. أما إذا كانت المساواة مساواة في «الاعطاء» دون النظر إلي درجة الاستحقاق، أي إعطاء الافراد مقداراً واحداً متساوياً بعض النظر عن مقدار استحقاقهم ، مثل هذه المساواة مخالفة للعدالة و مساوية للظلم. و كذلك المساواة في المنع ، أي في حرمان الجميع من حقهم بشكل متساوٍ ظلم أيضا.

من هنا فالعدل الالهي يعني وصول العطاء الالهي الي كل موجود بمقدار ما في الموجود من درجة و امكان و قابلية لتقبل عطاء الله تعالي.

إنْ فقد موجود شيئاً، فلانه يعيش في مجموعة ظورف و ملابسات لا توفر فيه إمكان تقبل ذلك الشيء.

مما تقدم نفهم أن العدل الالهي يفرض منح الكمال اللائق للموجودات المجهزة بالامكانات اللازمة لهذا المنح و العطاء . و توقف هذا المنح مخالف للعدل الالهي.

الانسان يمتاز عن سائر الموجودات باعتباره موجوداً ذا امكانيات و كفاءات و قدرات خاصة. الدوافع تدفع الانسان نحو العمل و النشاط لا تنحصر بالدوافع الحيوانية. الحيوان ذو غرائز تربطه بالطبيعة و بحياته الماديه. لكن الانسان – كما قلنا – ذو غرائز تسمو علي الواقع المادي لهذا العالم و ترتفع الي مستوي البقاء و الخلود.

الانسان يتمته بدوافع سامية: أخلاقية، و علمية و ذوقية و دينية و الهية ، و ينجز كثيراً من أعماله انطلاقا من هذه الدوافع . ويضحّي أحيانا بحياته الطبيعية و المادية و الحيوانية من أجل أهدافه السامية الانسانية. الانسان يقيم حياته العملية علي أساس «الايمان و العمل الصالح» بالتعبير القرآني، و يستهدف في حياته العملية هذه السعادة الباقية و رضا الله تعالي. الانسان ينطوي علي فكرة الخلود العظيمة و علي الأمل في بلوغها ، و علي الغرائز التي تدفعه نحوها.

كل هذه الظواهر تدل علي نوع من القابلية و الاستعداد للخود في النفس الانسانية، و بعبارة أخري تدل علي تجرّد الروح الانسانية و سموها علي المادة. و هذه الظواهر تجعل الانسان في هذه الحياة الدنيا مثل الجنين في رحم أمه . فالجنين مجهز بالجهاز التنفسي و الدموي و العصبي و البصري و السمعي و التناسلي. و هذه الاجهزة تتناسب مع حياة الانسان بعد خروجه من الرحم و لا تتناسب مع الفترة الموقتة التي يمضيها في الرحم.

صحيح أن الانسان يجني ثمار عمله في هذه الحياة الدنيا من خلال إيمانه و عمله الصالح مثل بذرة لاتنمو إلاّ في ظل حياة سعيدة خالدة. أي إن هذا النظام يجد مفهومه الصحيح و معناه الحقيقي في ظل الحياة

الخالدة.

الانسان يرتفع في دُفق يسمو علي أفق الطبيعة المادية، لا في ظل نظام الايمان و العمل الصالح فحسب، بل في طل النظام المضاد للايمان و العمل الصالح ، أو نظام الكفر و الفسق بالتعبير القرآني أيضا ففي إطار نظام الكفر و الفسق كذلك تتجاوز أعمال الانسان حدود الحسابات المادية و الحيوانية و الاحتياجات البدنية و العلاقات المادية، و تتخذ هذه الاعمال طابعا روحيا خالداً، و لكن بشكل منحرف. و من هنا يستحث الانسان المنحرف أيضا حياة خالدة غير أنها مقرونة – مع الأسف – بالعذاب و الألم. أو هي بالتعبير القرآني حياة جهنميّة.

إن ابتعدّ الانسان عن مدار الايمان و العمل الصالح ، لا يتحرك في المدار الحيواني، بل يهبط الي مادون هذا المدار، الي تحت الصفر، الي المستوي الذي تشير اليه الآية الكريمة:«بل هم أضل».

مَثَل الناس المتحركين في إطار نظام الايمان و العمل الصالح و الناس المتحركين في إطار نظام الفسق و الشرك كمثل تلاميذ بعظهم أي واجباته علي النحو الأكمل، و بعضهم قصّر في أداء واجبه و أهمل. فان أراد معلم أن يحرم جميع هؤلاء التلاميذ من العلامات فقد ظلمهم. و هكذا الامر لو افترضنا عدم وجود حياة خالدة بعد الموت.

بعبارة أبسط، دعا الله سبحانه و تعالي الناس الي الايمان و العمل الصالح. فانقسم الناس أمام هذه الدعوة علي قسمين : بعضهم قبلوا الدعوة و تمسكوا بتعاليمها الفكرية و الاخلاقية و العلمية . و بعضهم رفضوا دعوة الله و لجّؤا في عُتُوٍّ و نُفُور. و منجهة اُخري نري أن نظام هذا العالم لا يقوم علي أساس إثابه المحسن و معاقبة المسيء حتماً و بالضرورة. بل إن بعض الحسنات – مثل الاستشهاد في سبيل الله -

ينتهي عندها عمر الانسان و لا يبقي مجال للجزاء . من هنا لابد من وجود عالم آخر ينال فيه المحسنون جزاء إحسانهم ، و يلقي المسيؤون فيه عقابهم، و الا فذلك مخالف للعدل الإلٰهي.

الحكمة الالهية:

أعمال الانسان نوعان: أعمال عابثة فارغة غير منتجة، أي لا تؤثر في ايصالنا الي درجات الكمال الموجودة فينا بالقوة... الي سعادتنا الحقيقية. و أعمال متعقلة حكمية ذات نتائج جيدة و مفيدة، و ذات قدرة علي الارتفاع بنا الي كمالنا اللائق بنا. العمل من النوع الاول لغو و عبث. و من النوع الثاني أصيل و حكيم.

فالعمل الانساني الحكيم هو العمل الذي يبلغ بنا الي كمالنا اللائق.

تُري، ما هو العمل الحكيم الالهي؟ هل هو العمل الذي يوصله سبحانه و تعالي الي كماله اللائق؟ أبداً، فالله غني ذووفضل علي العالمين، و ما يفعله عطاء وجود و كرم، و لا يؤدي عملا لرفع احتياجاته أو لبلوغ كمال أو تحقيق سعادة له. العمل الحكيم الالهي عبارة عن العمل الذي يوصل المخلوق الي كماله اللائق به. و من هنا لا يمكن أن يصدر عن الله عمل يتصف باللغو و الغبث لان مثل العمل يعني أن يخلق الله موجوداً دون أن يوصله الي كماله الممكن و اللائق به.

مما تقدم نفهم الفرق بين مفهوم الحكمة الالهية، و مفهوم الحكلة البشرية. الحكمة في الانسان عبارة عن التعقل و السير علي طريق الكمال الانساني . و حكلة الله تعني ايصال المخلوقات الي كمالها اللائق بها أو خلق الاشياء علي أساس دفعها نحو غاياتها و كمالاتها.

حين يصنع الاناسن من المواد الاولية كالتراب و الخب

و الحجر و المعادن و الجلود و القطن و أمثالها وسائل مختلفة مثل الكرسي أو السيارة أو الثوب، فان هذه الوسائل لا تعتبر تكاملا للمواد الاولية المذكورة. كما ان هذه المواد الولية لم تتحرك نحو اتخاذ صور هذه الوسائل، بل إن النتيجة من استخدام الانسان لهذه الوسائل، كجلوسه علي الكرسي و سكنه في المنزل و حركته بالسيارة و ارتدائه للملبس، هي كمال للانسان، أو هي علي الاقل أمر نافع له، ذلك لان الحكة في عمل الانسان عبارة عن اتجاه العمل نحو تحقيق كمال للانسان . من هنا لا يوجد هناك ارتباط حقيقي بالضرورة بين عمل الانسان و النتيجة التي يحصل عليها الانسان من عمله. أي إن عمل الانسان لايتجه بالضرورة نحو تكامل نتيجة العمل.

أما بشأن الله سبحانه و تعالي، فهناك ارتباط حقيقي و طبيعي بين عمله و النتيجة المترتبة عل ذلك العمل. أي إن الغاية و التيجة من العمل الالهي عبارة عن الكمال الحقيقي لذلك العلم. الله سبحانه يسوق مخلوقه ، الذي هو فعله و عمله ، نحو كماله. و هكذا نري كل حبّة و بذرة تتحرك نحو كمالها و غايتها.

ثمة مسألة تطرح في هذا المجال ترتبط بتغير العالم و عدم ثباته و من هذه المسألة يستنبط بعضٌ أن العالم يتصف بالعبث و الخواء.

عالم الطبيعة مقرون بالتغيير و عدم الثبات و كل غاية ، نأخذها بنظر الاعتبار في الطبيعة متغيرة و غير ثابتة . و كل مرحلة من مراحل الطبيعة موقته فانية، و لا يمثل أي منها المقصد الذايت.

إنطلاقا من مفهوم التغيّر المستمر في عالم الطبيعة ذهب جماعة الي أن حركة العالم لا تصل الي هدفها الحقيقي، بل هي في تغيير دائم، و من هنا فهذه الحركة حركة عبثية ، لان الحركة تكون ذات معني

ومحتوي حين تتوخّيٰ هدفاً معينا، أما إذا لم يكن لهذه الحركة محطة نهائية و هدف نهائي فليس فيها سوي البعث و الخواء . حين يعقب كلّ وجود عدم، و يعقب كلّ بناء هدم، فان النظام المتحكم في العالم قائم علي أساس العبثية و التكرار.

القرآن يرفض هذا الاستنتاج لانه لا يري مسيرة الكون محدودة بهذه الحياة الدنيا. لو كانت المسيرة محدودة بهذه الدنيا، و كانت كل ولادة للموت و كل بناء للهدم و كل اخضرار للذبول و كل حديد للبيٰ لصحّت هذه الشبهة. لكن هذه الفكرة تنطلق من «نظرة ناقصة» تنطلق من فهم للكون محدود بهذه الدنيا و محصور بالطبيعة المادية. نظام الوجود لا ينحصر بالدنيا و الطبيعة المادية. الدنيا «يوم أول» يعقبها «يوم آخر». الدنيا «سير» و الآخرة«وصول» يقول علي بن أبي طال – عليه السلام - :

الدنيا دار مجاز و الآخرة دار قرار.

الآخرة هي التي تمنح الدنيا معني، إذ انّ المقصد هو الذي يجعل الحركة ذات معني. إن لم تكن ثمة حياة أخري خالدة ، لما كان للكون مقصد نهائي بالمعني الواقعي للمقصد ، و لكانت مسير الحياة نوع من «العبث» و «الباطل» و «اللعب» بالمصطلح القرآني.

الأنبياء جاؤوا للوقوف بوجه هذا الانحراف في التفكير و ليرشدونا الي حقيقة لو فقدناها لتحولت حياتنا بأجمعها الي عبث و لعب، و لتلوثت أفكارنا بالتصورات الخاوية الفارغة التافهة، و لتحولنا نحن بدورنا الي موجودات عابثة عديمة المعني و الهدف. أحد آثار الايمان و الاعتقاد بالعالم الآخر يتمثل في إنقاذنا من العبث و الفراغ و في إضفاء معني علي وجودنا و أفكارنا.

«الفهرس»

المعاد من أركان التصور الاسلامي.....5
مصدر الايمان بالحياة الاخري.....6
ماهية الموت.....8
الحياة بعد الموت.....13
عالم البرزخ.....14
القيامة الكبري.....17
العلاقة بين الحياة الدنيا و الحياة الأخري.....18
خلود الاعمال و تجسمها 19
مقارنة بين الحياتين.....22
براهين القرآن.....24
العدل الالهي و الحكمة الهية.....28
العدل الالهي 29
الحكة الالهية.....32